



+ آباؤنا القديسون

القديس صفرونيوس

تُعيّد الكنيسة المقدسة في الحادي عشر من آذار لتذكّار أبينا الجليل في القديسين صفرونيوس، بطريرك أورشليم، الذي عاش مجاهداً في الحياة الروحية ومدافعاً عن الإيمان القويم ضد الهرطقة وراعيلاً مثالياً لخراف المسيح الناطقة في أورشليم.

ولد القديس صفرونيوس الذي يعني اسمه «العفة»، في مدينة دمشق في أواسط القرن السادس، من عائلة مسيحية تقيّة. برع في الشعر والفلسفة، كما انكب على اكتساب الفضائل المسيحية حتى أنه لُقّب بالحكيم. برز فيه شوق، منذ حداثته، إلى السعي نحو الكمال المسيحي، فقاده حكيمته، بنعمة الله، إلى زيارة الرهبان المقيمين في فلسطين. هناك تعرف على الراهب «يوحنا موسكوس» في دير القديس ثيودوسيوس، فاتخذته معلماً له والتصق به، لكنه لم يقبل الإسكيم الرهباني.

زار يوحنا وصفرونيوس الصحراء المصرية حيث كان النسك يعيشون حياة تقشف قاسية ويجيئون حياة الملائكة على الأرض، في المحبة والتواضع والصبر والصلاة والصوم. ولكثرة إعجابهما بحياة النسك وضعوا كتاب «بستان الرهبان» جمعاً فيه أقوال آباء الصحراء وفضائلهم وتعاليمهم وقصصاً من حياة الصحراء النسكية.

بعد الصحراء انتقل يوحنا وصفرونيوس إلى مدينة الإسكندرية حيث تعرفوا على القديس يوحنا الرحم بطريرك الإسكندرية الذي كان نموذجاً في الرحمة والمحبة للفقير والمحتاج. أحبهما البطريرك وألزمهما البقاء في الإسكندرية لإرشاد المؤمنين الذين أخذت تنفشي بينهم بدعة الطبيعة (الإلهية) الواحدة في المسيح. فأعادوا كثيراً من الضالين إلى الإيمان القويم وسمح الله بأن يشاهدا ثمار فلاحتهما الروحية.

بعد سنوات هاجم الفرس مدينة الإسكندرية، فهرب يوحنا وصفرونيوس مع البطريرك يوحنا الرحم وعدد كبير من الرهبان باتجاه القسطنطينية. توفي البطريرك يوحنا أثناء الرحلة فدُفن في قبرص، أما هما فارتحلا من هناك إلى روما حيث عرضا للبابا بونيفاسيوس الخامس أحوال كنيسة الشرق. بعد سنتين توفي يوحنا في روما، فحمل صفرونيوس جسده وانتقل به مع رهبان آخرين إلى أورشليم حيث دفنوه في دير القديس ثيودوسيوس. ويبدو أن العناية الإلهية هي التي أعادت صفرونيوس إلى أورشليم التي كانت تحت سيطرة الفرس وكان بطريركها زكريا منفيّاً من الهرطقة أتباع المشيئة الواحدة، الذين يؤمنون بوجود مشيئة إلهية في المسيح، وانتفاء المشيئة البشرية فيه. اقتبل صفرونيوس النذور الرهبانية



+ آباؤنا القديسون

وشرع في محاربة هؤلاء الهرطقة مدافعاً عن الإيمان القويم، وعلم أن المسيح في طبيعتين ومشيعتين إلهية وبشرية.

بعد وفاة البطريرك الأورشليمي عام ٦٣٣ أقيم صفرونيوس بطريكاً على المدينة المقدسة فتابع دفاعه ضد الهرطقة وعقد مجعاً مكانياً أدان التعاليم الهرطوقية وحدد التعاليم القويمة. وقد تُلّيت أعمال هذا المجمع لاحقاً في المجمع المسكوني السادس (٦٨٢) الذي بارك جميع المقررات. لم يمضِ زمنٍ طويلٍ حتى جاء الفتح العربي وحوصرت مدينة أورشليم مدة سنتين كان يشدّد خلالها المؤمنون بالوعظ والصلاة.

فاوض صفرونيوس الخليفة عمر بن الخطاب لكي يؤمن سلامة المسيحيين المقيمين في المدينة المقدسة ونجح وهكذا فتحت أبواب المدينة وكان ذلك عام ٦٣٨. عاش صفرونيوس بعدها فترة قصيرة وتوفي بسلام عام ٦٣٩ بعد أن جاهد للحفاظ على الإيمان وللحفاظ على أرواح أبناء رعيته. دون القديس صفرونيوس عدداً من سير القديسين منها سيرة القديسة مريم المصرية، وسيرة القديسين الطبييين العادمي الفضة كيروس ويوحنا اللذين شفياها من داء في عينيه. كما ألف عدداً من الترانيم الكنسية، منها ترنيمة «صوت الرب على المياه...» التي تترتل في عيد الظهور الإلهي، وترنيمة «رؤساء الشعوب اجتمعوا على الرب...» التي ترنم يوم الخميس العظيم. فبشفاعته اللهم ارحمنا وخلصنا آمين.